﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تكملةُ اعتراضِ إبليسَ على أوامرِ ربِّه، بإساءة الأدبِ جِهارًا

لمّا ذَكَرَ اللّهُ تعالى في الآية السّابقةِ في حديثِه عنِ المُشركين الَّذين اقترحوا على رسول اللّهِ الآياتِ، وبيَّنَ في ختامِها أنَّهم يَزدادون طغيانًا بقوله: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾؛ ناسبَ في هذه الآية أن يذكرَ السَّببَ بقولِه عن إبليسَ: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

ومِنَ المُناسبة أن يُقالَ: لمّا أنكرَ إبليسُ أن يسجدَ لآدمَ في الآية السّابقةِ بقوله: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ تحقيرًا لشأن آدمَ؛ جاءَت هذه الآيةُ لبيان تطاولِ إبليسَ في الاعتراض والإنكار، كأنَّه يقولُ: (أخبرني عن حال هذا المُشاهَدِ المَحسوسِ المُكوَّنِ مِنَ الطّين، كيف يرتفعُ عليَّ، وأنا أفضلُ منه)[2].

ولمّا أخبرَ تعالى في الآية السّابقةِ بتَكَبُّر إبليسَ وتمرُّدِه عنِ امتثال أمرِ ربِّه، ونكولِه عنِ السُّجود لآدمَ اجتراءً على الجناب الأعلى، مُعلِّلًا كلَّ ذلك بأنَّ أصلَه مِنَ الطَّين، ظنًّا منه أنَّ النّارَ خيرٌ مِنَ الطّين؛ بيَّنَ في هذه الآية سوءَ أدبِ إبليسَ وتماديه في الاعتراض على اللّه، مُسيئًا الأدبَ معه سبحانَه، مُستفهِمًا على سبيل الاستبعاد والاستنكار ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: أصلُ (رأى) يدُلُّ على نَظَرٍ وإبصارٍ بعَينٍ أو

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 11/ 5.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 329/ 9.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 463، والشّيخ علوان، الفواتح الإلهيَّة: 1/ 458.

بَصيرَةٍ، فالرَّأيُ: ما يَراهُ الإنسانُ في الأمرِ، وجَمعُهُ الآراءُ[1]، والرُّؤيَةُ: إدراكُ المَرئيّ، والرَّأيُ: اعتقادُ النَّفسِ أحدَ النَّقيضين عن غلبة الظَّنِّ، وعلى هذا قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: 13]، والرُّؤيا: ما يُرى في المَنام[2]، والرُّؤيَةُ بالعَينِ تَتَعَدَّى إلى مَفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العِلمِ تَتَعَدَّى إلى مَفعولَين، وللنَّحويّين في: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ الإخباريَّة خِلافٌ طويلٌ بالنِّسبة إلى الفاعل وتفيدُ التَّنبيهَ، وبين الَّتي بمعنى العِلمِ والظَّنِّ، وهو تَركيبٌ شهيرُ الاستِعمالِ، يُفتَتَحُ بمثلِهِ الكلامُ الَّذي يُرادُ تحقيقُهُ والاهتِمامُ بِهِ[3]، والمقصودُ بالإراءة في الآية: كلمةٌ تُقالُ عندَ الاستِخبارِ، ومعناها: أَخبِرني عمّا رأَيت.

2) ﴿كَرَّمْتَ﴾: أصلُ الكَرَمِ شَرَفُ الشَّيءِ، يُقالُ: كَرُمَ الشَّيءُ يَكرُمُ كَرَمًا، أي: شَرُفَ، ورَجُلٌ كَريمٌ، أي: شريفٌ ذو فَضائِلَ[4]، والإكرامُ والتَّكريمُ: أن يوصَل إلى الإنسان إكرامٌ، أي: نَفْعٌ لا يَلْحَقُه فيه غَضاضَة، أو أن يَجعَلَ ما يوصَلُ إليه شيئًا كَريمًا، أي: شريفًا[5]، ويأتي التَّكريمُ بمعنَى: التَّفضيلِ، والكَرَمُ: الفَضلُ، ومنه قَوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾، أي: فضَّلتَ[6]، ومِن معاني التَّكريم أيضًا: التَّوقيرُ، والتَّنزيهُ، والتَّقديسُ، والتَّكثيرُ، والتَّعزيزُ[7]، والمُرادُ بالتَّكريم في الآية: جَعْلُهُ كَريمًا مُفضَّلًا، أي: نَفيسًا غيرَ مَبذولٍ ولا ذَليلٍ.

3) ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: (حَنَكَ) أصلٌ واحدٌ، وهو عُضوٌ مِنَ الأعضاءِ، ثمَّ يُحمَلُ عليه ما يُقارِبُهُ مِن طَريقةِ الاشتِقاقِ، فأصلُ الحَنَكِ حَنَكُ الإنسانِ، أقصَى فَمِهِ، يُقالُ: حَنَّكتُ الصَّبيَّ؛ إذا مَضَغتَ التَّمرَ، ثمَّ دَلَّكتَهُ بِحَنَكِهِ، فهو مُحَنَّكٌ[8]، واحتَنَكَ الجرادُ الأرضَ: أتى على نَبتِها، وأكلَ ما عليها، والحَنَكُ: الجَماعَةُ مِنَ النّاسِ يَنتَجِعون بَلَدًا يَرعَونَهُ، يُقالُ: ما تَرك الأحناكُ في أرضنا شَيئًا، يعني: الجَماعاتِ المارَّةَ[9]، وحَنَكَ الدّابَّةَ يَحنُكُها؛ إذا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (رأى).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 221: 15/ 150.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كرم).
(5) الرّاغب، المفردات: (كرم)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/ 344.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (كرم).
(7) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (كرم).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حنك).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (حنك).

رَبطَ حَبلًا في حَنَكِها الأسفَلِ، يَقودُها به حيثُ يشاءُ[1]، والمقصودُ بالاحتِناكِ في الآية: إمّا أن يكونَ مأخوذًا مِن احتَنَكَ الجرادُ الأرضَ؛ إذا أتى على نَبتِها، أو مِن وضْعِ الرّاكِبِ اللِّجامَ في حَنَكِ الفَرَسِ ليَركَبَهُ ويُسَيِّرَهُ، والمرادُ به: جَلبُ ذُرّيَّةِ آدَمَ إلى مُرادِهِ مِنَ الإفسادِ والإغواءِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عــداوةُ إبليسَ لآدمَ حَسَدًا على تكريـمِ اللـهِ له ولذُرّيّتِه

يُخبرُ اللّهُ عن إبليسَ لمّا تبيَّنَ له تفضيلُ اللّهِ لآدمَ عليه، قال مُخاطِبًا ربَّه ﷻ بكُلِّ جُرأةٍ: أخبِرْني أهذا هو الّذي فضَّلْتَه عليَّ؟ فلِمَ تأمُرُني بالسُّجودِ له، وأنا خَيرٌ منه؟ وقالَ لَعَنَهُ اللّهُ: أُقسِمُ بكَ لَئِن أخَّرتَ إهلاكي إلى يومِ القيامةِ؛ لأستولِيَنَّ على ذُرّيَّةِ آدَمَ، فأُضِلَّنَّهم عن طريقِ الحَقِّ، وأقودَنَّهم إلى حيثُ أشاءُ مِن طُرُقِ الباطلِ، إلّا قليلًا منهم، وهُم عبادُك المُخلَصون.

وترشدُ الآيةُ إلى مَعرفة إبليسَ أنَّه لا بدَّ أن يكونَ مِن بني آدمَ مَن يعاديه، ويَعصيه، وهُم عبادُ اللّه المُخلَصون المُتوكِّلون على اللّه، وإلى مبالغة إبليسَ في اللَّدد والعِناد، فلم يتوعَّدْ ذرّيَّةَ آدمَ، ويُهدِّدْهُم مدَّةَ حياتِه هو، بل إلى يوم القيامة، فإنْ كانَتِ البدايةُ مع آدمَ؛ فلن ينجو، ولن تنجو ذرّيَّتُهُ أيضًا[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ جملة ﴿قَالَ﴾ عمّا قبلَها:

إعــادةُ إنكـارِ التَّفضيلِ ببلوغِ الغايةِ في إساءةِ الأدبِ

فُصِلَت جملةُ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ عن جملة ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ﴾[3]؛ لأنَّها بدلُ اشتمالٍ مِن جملة ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾؛ باعتبارِ ما تشتملُ عليه مِن احتقارِ آدمَ وتغليطِ الإرادةِ مِن تفضيلِه، فقد أُعيدَ إنكارُ

(1) ابن سِيده، المُحكم، وابن منظور، لسان العرب: (حنك).
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: 461، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ - الخواطر: 14/ 8663.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 150.

التَّفضيلِ بقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ المفيدِ الإنكارَ، وعلَّلَ الإنكارَ بإضمار المَكْرِ لذُرِّيَّتِه؛ لأنَّه لمّا أخبرَ تعالى بتَكَبُّر إبليسَ، كان كأنَّه قيلَ: إنَّ هذه لوقاحَةٌ عظيمةٌ، واجتراءٌ على الجَناب الأعلى، فهل كان غيرُ هذا؟ فقيل: نعم! ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾[1]، فأتى بالغاية في إساءة الأدب.

سِرُّ تكرارِ فعل القولِ في ذِكرِ اعتراضِ إبليس:

الإيـذانُ بعدم اتِّصال الكلامِ الثّاني بالأوَّل، وعدمِ ابتنائِه عليه

في إعادة الفعلِ ﴿قَالَ﴾ بين كلامي اللَّعين إيذانٌ بعدم اتِّصال الثّاني بالأوَّل، وعدمِ ابتنائِه عليه، بل على غيره؛ اكتفاءً بما ذُكِرَ في مَواضِعَ أخرى مِنَ القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف: 14 - 15]، فبعدَ الإنظارِ المُتَرتِّبِ على استِنظاره المُتفرِّعِ على الأمر بخروجه من بين المَلأ الأعلى باللَّعنِ المُؤبَّد، قالَ بعدَ طَردِهِ مِنَ المَحلِّ الأعلى ولعنِه واستنظارِه وإنظارِه: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا﴾؛ لذلك فُصِلَت ﴿قَالَ﴾ للإيذان بعدم اتِّصال الثّاني بالأوَّلِ، وعدمِ ابتنائِه عليه، بل على غيرِهِ[2].

معنى الاستفهامِ في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾:

تهـوينُ إبليسَ مِـن شـأن آدمَ عليه السلام

الهمزةُ في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ للاستفهام، وهو استفهامٌ قالَه على وجه التَّعجُّبِ وإنكار أمرِ الأَشرفِ على زعمِه بخِدمة الأَدون[3]، ومقصودُ إبليسَ مِن هذا الاستفهام: التَّهوينُ مِن شأن آدمَ عليه السلام، والتَّقليلُ مِن مَنزلتِه، ولم يُجبْهُ سبحانَه عن سؤاله؛ تحقيرًا له، وإهمالًا لشخصِه؛ بسبب اعتراضِه على أمر خالقِه ﷻ[4].

بلاغةُ المَجاز في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾:

تحقيقُ مَضمونِ الاستفهامِ والطَّلبِ والاهتمام بِهِ

قولُه: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ تركيبٌ يُفتَتَحُ به الكلامُ الّذي يُرادُ تحقيقُه

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 463.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 183، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 103.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 70.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 366، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 387.

والاهتمامُ بهِ، ومعناه: أخبرني عمّا رأيتَ، وهو مُركَّبٌ مِن هَمزة استفهام، و(رأى) الَّتي بمعنى (عَلِمَ)، و(تاءِ المُخاطَب) المُفرَدِ المَرفوعِ، ثُمّ يُزادُ على ضمير الخطابِ كافُ خطابٍ تُشبهُ ضميرَ الخطابِ المنصوبِ؛ لتأكيدِ الخطابِ، بحسب المُخاطَب واحدًا أو مُتعدِّدًا، يُقالُ: أرَأيتَكَ وأرَأيتَكم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: 40][1].

فالإراءةُ هُنا بمعنى الإخبارِ، ففيه مجازٌ مُرسَلٌ، مِن باب إطلاقِ السَّببِ على المُسَبَّبِ؛ لأنَّ شأنَ مَن كان رائيًا لشيءٍ أن يُخبرَ به[2]، والعلاقةُ ما بين الرُّؤيةِ والإخبارِ مِنَ السَّببيَّة والمُسببيَّة، واللّازميَّة والمَلزوميَّة[3].

وأُطلِقَ الاستفهامُ، وأُريدَ منه الطَّلبُ، ففيه مجازٌ مُرسَلٌ على مَجاز، والمعنى: أخبرني عن هذا الَّذي كرَّمتَه عليَّ بأن أمرتَني بالسُّجود له، لمَ كرَّمتَه عليَّ، وفضّلتَه بالخلافة والسُّجود، وأنا خيرٌ منه؛ لأنَّه خُلِقَ مِن طينٍ، وخُلِقتُ مِن نارٍ[4]؟

سِرُّ اختيار التَّعبيرِ بالرُّؤيةِ في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾:

الإراءةُ تنبيهُ المُخاطَب؛ ليستجمعَ ما يُخاطَبُ به

آثرَ السّياقُ الكريمُ التَّعبيرَ بقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ دونَ غيرِها؛ لأنَّها تُطلَقُ على معانٍ عديدةٍ، منها: (عَرِّفني، أَخبِرني)، ويكونُ المعنى على لسان إبليسَ: أخبِرني عن هذا الّذي كرَّمتَ عليَّ، ولِمَ كَرَّمتَهُ عَلَيَّ، وقد خَلَقتَني مِن نارٍ، وخَلقتَهُ مِن طينٍ، ويجوزُ أن يكونَ معنى أرأيتَ: (أتأمَّلْتَ) ونَحوهُ على أنَّ المُخاطِبَ بها يُنَبِّهُ المُخاطَبَ؛ ليَستجمِعَ لِما يَنصُّهُ عليه بَعدُ[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 150.
(2) الصّاويّ، حاشيته على تفسير الجلالين: 2/ 326.
(3) الصّاويّ، حاشيته على تفسير الجلالين: 2/ 326، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 103.
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 5/ 180.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 57.

دلالةُ الكاف بعد تاءِ الخطابِ:

تـأكـيـدُ معنى الخطاب مُبالغة في التَّنبيه

هذه الكافُ في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ عندَ البصريّين تأكيدٌ لمعنى الخطابِ الَّذي تُفيدُه تاءُ الخطابِ الَّتي في محلِّ رفعٍ، وهو يُشبهُ التَّوكيدَ اللَّفظيَّ، وقال الفرّاءُ: "الكافُ ضميرُ نصبٍ، والتَّركيبُ: أرأيتَ نفسَكَ"[1]، فهي كافُ خطابٍ ومُبالغةٍ في التَّنبيه، كأنَّ المُخاطِبَ بها يُنبِّهُ المُخاطَبَ ليستجمعَ لِما يَنصُّهُ بعدُ[2].

عِلَّةُ حَذفِ المَفعول الثّاني لقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾:

التَّساؤلُ عن علَّة أمرِ اللهِ، هو غايةُ الغرور والصَّلف

حُذِفَ المفعولُ الثّاني لقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾؛ لدلالة الصِّلة عليه، والمعنى: أخبرني عن هذا الَّذي كرَّمتَهُ عليَّ بأن أمَرتَني بالسُّجود له، لِمَ كرَّمتَهُ عليَّ[3]؟

نُكتةُ تكريرِ الخطابِ في هذه الآية بعدَ الخطابِ في سابقتِها:

الدَّلالةُ على أنَّ المُخاطَبَ به أمرٌ عظيمٌ

في تكرير الخطابِ هُنا في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ مُناسبةٌ حَسنةٌ، كنظيرِه في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ في سورة الأنعام [الآية: 40]؛ لدلالتِه على أنَّ المُخاطَبَ به أمرٌ عظيمٌ، وهو هُنا كذلك؛ لأنَّ إبليسَ - لعنَهُ اللهُ - ضَمِنَ بقولِه: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إغواءَ أكثرِهم[4].

سِرُّ التَّعبيرِ باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾:

إرادةُ إبليسَ تحقيرَ آدمَ عليه السلام وإهانتَهُ

عبَّرَ القرآنُ باسم الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ دون (ذلك)؛ لأنَّه مُستعمَلٌ في التَّحقير، كقول قومِ إبراهيمَ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: 36]، والمعنى: أخبرني عن هذا الَّذي كرَّمتَهُ عليَّ بلا وجهٍ[5]، فإبليسُ لعنادِه - أبعدَهُ اللهُ -

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/ 142، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 150.
(2) الثَّعالبيّ، الجواهر الحسان: 3/ 483.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 183.
(4) الأنصاريّ، فتح الرَّحمن: 331 - 332، والكرمانيّ، البرهان في متشابه القرآن، ص: 166.
(5) النَّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 365، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 151.

قال: ﴿هَـٰذَا﴾، ولم يَقُلْ: (ذلك)، بإشارة القُربِ إهانةً له مع إقرارِه بأنَّ اللّٰه كرَّمَه عليه[1].

غَرضُ حَذْفِ الاستفهامِ مع اسم الإشارة ﴿هَـٰذَا﴾:

الحَذفُ لغرضٍ بلاغيٍّ مِن فصيح البيان

أعربَ البعضُ قولَه: ﴿هَـٰذَا﴾ على أنَّه مبتدأٌ محذوفٌ منه حرفُ الاستفهام، و﴿ٱلَّذِى﴾ مع صلتِه خَبَرٌ، تقديرُهُ: أخبِرني أهذا الَّذي كرَّمتَ عليَّ؟ وذَلِكَ على وجه الاستِصغارِ والاستِحقارِ، وإنَّما حُذِفَ حرفُ الاستفهامِ مع اسمِ الإشارةِ؛ لأنَّ وجودَهُ فيما سَبَقَ من قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ أغنى عن تَكرارِهِ مرَّةً أخرى[2].

إيثارُ استعمالِ الفعلِ ﴿كَرَّمْتَ﴾:

استبعادُ تَوهُّمِ وجودِ فضلٍ لإبليسَ على آدمَ

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالتَّكريم دونَ التَّفضيل، كأنْ يُقالَ: (فضَّلْتَ)؛ لأنَّ التَّكريمَ فيه اعترافٌ بفضل آدمَ ﷺ على إبليسَ، وذلك إمّا مِن جهة الطّاعةِ مِن آدمَ، وعدمِها مِن إبليسَ، أو كان التَّكريمُ مِن ناحية النُّبوَّةِ، ولم يُعبِّرْ بالتَّفضيل خشيةَ أن يُتوهَّمَ وجودُ فضلٍ لإبليسَ؛ لأنَّ مادَّةَ التَّفضيلِ تشيرُ إلى ذلك في بنيتِها؛ لذلك كان التَّعبيرُ بالتَّكريم هو الأنسبَ؛ لأنَّ إبليسَ - لعنَه اللّٰهُ - أقرَّ بالفضيلة لآدمَ والإكرام له، إمّا مِن جهة الطّاعةِ له، وإمّا مِن جهة النُّبوَّةِ الَّتي أعطاها اللّٰهُ له، وإنِ ادّعى لنفسِه الفضيلةَ عليه مِن جهة الخِلْقَةِ بأنَّه ناريٌّ، وهو طينيٌّ؛ لأنَّ التَّكريمَ منظورٌ فيه إلى تكريمِه في ذاتِه، والتَّفضيلَ منظورٌ فيه إلى تشريفِه فوقَ غيرِه، على أنَّه فضَّلَه عليه بالعقل الَّذي به استصلاحُ شؤونِه، ودفعُ الأضرارِ عنه، وبأنواع المَعارف والعلوم[3]، وفيه دلالةٌ على التَّمهيد لتكريم بني آدمَ، قال تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70].

(1) أطفيش، تيسير التَّفسير: 8/ 209.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 11/ 6.
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السُّنَّة: 7/ 75، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 166، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4414.

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿عَلَيَّ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ بـ ﴿عَلَيَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ على أنَّ هذا التَّكريمَ لآدمَ مصدرُهُ عُلويٌّ، وهذا يدُلُّ على عُلوِّ مَنزلةِ آدمَ وتحقيرِ إبليسَ.

بلاغةُ حذفِ المَفعول في ﴿كَرَّمْتَ﴾:

حَذَفَ مفعولَ الفعلِ مِن قولِه: ﴿كَرَّمْتَ﴾، والتَّقدير: (لِمَ كرَّمتَ آدمَ عليَّ، وأنّا خيرٌ منه؟) فاختصرَ الكلامَ بحذفِ ذلك لكونِه مَعلومًا[1]، وأيضًا لأنَّ نَفْسَ اللَّعينِ لا تُساعِدُهُ على ذِكْرِهِ؛ لئلّا يقعَ التَّكريمُ على الضَّميرِ العائدِ على آدمَ لفظًا، واللَّعينُ ينفيه معنًى، وفي هذا الحَذْف ما فيه مِنَ التَّناسُقِ بينَ الحَذفِ وبينَ الإنكارِ الَّذي أعلنَه إبليسُ[2].

استكبارُ إبليسَ عنِ النُّطق باسم آدمَ ﷺ تعالٍ وغرورٌ

عِلَّةُ فصلِ الجملة القَسَميَّةِ عمّا قبلَها:

فُصِلَت جملةُ القَسَم: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ لأنَّها مُستأنَفةٌ استِئنافًا ابتدائيًّا، وهي جُملةٌ قَسَميَّةٌ[3]، فلمّا كان اعتراضُ إبليسَ وإنكارُه باستفهامِه، وقوله: بِمَ كرَّمتَهُ عليَّ مع ضعفِه وقوَّتي؟ فكأنَّه قيلَ: لقد أتى بالغايةِ في إساءة الأدبِ، فما كان بعدَ هذا؟ فقيلَ: قالَ مُقسِمًا؛ لأجل استِبعادِ أن يجترئَ أحدٌ هذه الجَراءةَ على المَلِك الأعلى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾[4].

استبعادُ أن يجترئَ أحدٌ هذه الجَراءةَ على المَلِك الأعلى

غرضُ حَذفِ القَسَمِ والاكتفاء باللّام الموطِّئة له:

اللّامُ في قوله: ﴿لَئِنْ﴾ موطِّئةٌ للقَسَم المَحذوف معَ الشَّرط، وجوابُهُ قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ؛ لدلالة جوابِ القَسَمِ عليه، ونلمحُ هُنا أنَّ القَسَمَ مَحذوفٌ، وقد أشارَت إليه

التَّوكيدُ والتَّقرير في الإغواء، وتصويرُ طريقتِه وأسلوبِه في الإضلال

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 677، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 365.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 158، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/ 218 - 219.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 151.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 463.

اللّامُ الموطِّئةُ؛ لأنَّ الحذفَ هُنا أبلغُ مِنَ الذِّكر؛ لأنَّ سياقَ الكلام، وما توعَّدَ به إبليسُ ذرّيَّةَ آدمَ، يقتضي الإيجازَ، فهنا مبادرةٌ إلى المطلوب مِن جانب إبليسَ، وكأنَّه - لعنَه اللّهُ - تركَ لفظَ القَسَمِ مُبادرةً إلى مطلوبِه وغرضِه ومَقصودِه مِن إغواء بني آدمَ، ولكنَّه ضَمَّ إلى هذا القصدِ القَسَمَ المُقدَّرَ؛ ليكونَ كلامُه قد جَمَعَ بينَ التَّأكيدِ على العزم في الإغواء مع التَّصوير لطريقتِه وأسلوبِه في الإضلال، فوراءَ هذا القَسَمِ المُقدَّرِ نَفسٌ انطوت على حقدٍ وعَداوةٍ لا يعلمُ قدرَهُما إلّا اللّهُ ﷻ، وهو ما جاء مُنسجِمًا مع القَسَمِ المُقدَّرِ الذِّكر في الآية، ومِن هنا كان الحذفُ أبلغَ مِنَ الذِّكر؛ إذ عبَّرَ أدقَّ تعبيرٍ عن نيَّةِ إبليسَ وعزمِه على الإضلال والخداع لبني آدمَ، حتَّى يصرفَهُم عن طريق الحَقِّ والهُدى، فَغَرَضُ القَسَمِ التَّوكيدُ والتَّقريرُ، وهذا الكلامُ صدرَ مِن إبليسَ إعرابًا عمّا في ضميره[1].

دلالةُ الجملةِ الفعليَّةِ ﴿أَخَّرْتَنِ﴾:

هذه الجملةُ الفعليَّةُ بعد الشَّرطِ مُستعملَةٌ في الدُّعاء، فهو في معنى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩﴾ [ص: 79][2]، وفي هذه الجملة تتجلّى بلاغةُ الإيجاز بالحذف أيضًا؛ لأنَّ تقديرَ الكلام: (أخَّرتَ مَوتي إلى يوم القيامة)[3]، ولا يخفى موقعُهُ في النَّفس، فالحَذفُ مِن أساليب تشويقِ المُتلقّي في الكلام.

بيانُ أنَّ الإخبارَ هُنا مُستعمَلٌ في معنى الدُّعاء

سِرُّ التَّعبيرِ بالتَّأخير دونَ الإمهال:

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالتَّأخير في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ دونَ أن يُقالَ: (لَئِن أمهلتَني)؛ لأنَّه يختلفُ عنِ الإمهال، فالتَّأخيرُ يقابلُهُ التَّقديمُ، قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [القيامة: 13]، وفي هذا إشارةٌ إلى معاقبة إبليسَ على ما تقدَّمَ منه مِنَ

الإشـــارةُ إلى مُعاقبة إبليسَ، عـلى مـا بَـدَرَ منه، مِنَ الإغواء والإضلال

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 183، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 151.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 151.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/ 219.

الامتناع عن السُّجود لآدمَ، وما تأخَّرَ من إغوائه لبني آدمَ، ولأنَّ التَّأخيرَ مُتعلِّقٌ بالآجال، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: 34] بخلاف الإمهالِ، فإنَّه يحملُ معنى التُّؤَدَةِ والسُّكون، يُقالُ: مَهَلَ في فعله، وعَمِلَ في مُهْلةٍ، وهذا المعنى غيرُ مُرادٍ في هذا السّياق، فالمَقامُ مَقامُ ذمٍّ لإبليسَ[1].

وفيه إشارةٌ إلى أنَّه سيبقى مُغويًا وضالًّا إلى آخرِ بني آدمَ، وبناءً على هذا فذُرِّيَّةُ آدمَ تتقدَّمُهُ، وتَفنى، ويكون هو الآخر بعدَها، فلا يوجَدُ لذُرِّيَّة آدمَ وجودٌ بعدَهُ.

دلالةُ تعدّي فعلِ التَّأخير بـ ﴿إِلَىٰ﴾:

تعدَّى فعلُ التَّأخير في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾ دون اللّام؛ لأنَّ ﴿إِلَىٰ﴾ تُفيدُ الغايةَ بخلاف اللّام، فإنَّها تفيدُ معنى الاختصاص، ومرادُ إبليسَ ليس اختصاصَ اليوم في حدِّ ذاته، بل غايتُهُ إضلالُ ذرّيَّةِ آدمَ إلى آخر الزَّمنِ الَّذي به تنتهي الدُّنيا؛ لذلك كانَ التَّعبيرُ بـ ﴿إِلَىٰ﴾ هو المناسبَ مع غايته.

غايةُ إبليسَ إضلالُ ذرّيّةِ آدمَ إلى آخِرِ الزَّمنِ الَّذي به تنتهي الدُّنيا

سرُّ التَّعبيرِ بيوم القيامة:

عبَّرَ القرآنُ الكريمُ بيوم القيامةِ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في مَطلَبِ إبليسَ بالتَّأخير إلى يوم القيامةِ الَّذي هو نهاية الدُّنيا وبدايةُ الآخرة، وهو يومُ قيام السّاعةِ الَّتي تنتهي بقيامها ظروفُ الحياةِ الدُّنيا كلِّها، وهذا يدُلُّ على أنّ نبأَ قيامِ السّاعةِ، ونبأَ البعثِ للحساب، وفصلِ القضاء، وتنفيذِ الجزاء، قد كان مَعلومًا للجنِّ؛ إذ إبليسُ واحدٌ منهم، وكان مَعلومًا حتمًا للملائكة، وأنّ الجنّ كانوا مَوضوعين مَوضِعَ الامتحانِ في الحياة الدُّنيا قبلَ الإنس.

نبأُ قيامِ السّاعةِ مَعلومٌ للجنِّ، وامتحانُهم في الدُّنيا قبلَ الإنس

براعةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾:

تتجلّى بلاغةُ تصويرِ النَّظمِ القرآنيِّ في تعبيره بـ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾

تمثيلُ إغواءِ إبليسَ ذرّيّةَ آدمَ بمثل تسيير الدّابّة واقتيادها

(1) الرّاغب، المفردات: (مهل).

الَّذي يدُلُّ معناه على وضع الرّاكِبِ اللِّجامَ في حَنَك الفرسِ ليركبَه ويُسَيِّرَه[1]، والاحتناكُ هُنا تمثيلٌ لِجَلْبِ ذرّيَّةِ آدمَ إلى مُرادِه مِنَ الإفسادِ والإغواءِ، بتسييرِ الفَرَسِ على حَسَب ما يُريدُ راكبُهُ[2]، بطريق الاستعارةِ المَكنيَّةِ؛ إذ شبَّهَ ضِعافَ الإيمانِ في استيلائِه عليهم وإغرائِه إيّاهم على الكفر والمعاصي بالمَطايا الَّتي يسيطرُ عليها راكبوها، ويوجهونها كيف شاؤوا، ثُمَّ حَذَفَ المشبَّهَ به، ورمزَ له بخاصَّةٍ مِن خواصِّه، وهي وضْعُ اللُّجُمِ في أحناكِها للتَّمكُّنِ مِنَ السَّيطرة عليها، وسلبِها حريَّةَ الحركةِ[3]، فالمعنى: لأقودنَّهم إلى المَعاصي كما تُقادُ الدّابّةُ بحَنكِها، غيرَ مُمتَنعةٍ على قائدِها المُتصرِّفِ فيها بثني العَنان تارةً، وبكبح اللِّجامِ مرَّةً[4].

سرُّ التَّعبيرِ بقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾:

تصويرُ شِدَّةِ التَّمكُّنِ والاستيلاء على إرادةِ الإنسانِ

آثرَ الذِّكرُ الحكيمُ التَّعبيرَ بالاحتناك في قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ دونَ غيرِه مِنَ الألفاظ المُقاربة؛ لأنَّه يدُلُّ على شِدَّة التَّمكُّن والاستيلاء، ولأنَّ في هذه العبارة الَّتي اختيرَت لوسوسة الشَّيطان واستيلائه على إرادة الإنسانِ بجامع الانقيادِ والإتباعِ في كلٍّ منهما، وقعًا شديدًا لإبرازِه بصورة مُخجلةٍ مُضحكةٍ مُؤلِمةٍ، وهي تُظهِرُ الإنسانَ الَّذي كرَّمَه اللهُ تعالى وخلقَه بأحسن صورةٍ، وهو يعبثُ به الشَّيطانُ، ويجرُّه إلى الرَّدى، كما تُجَرُّ الدّابَّةُ مِن حَنَكِها إلى حيثُ مَهلِكُها، صاغرًا ذليلًا مُطيعًا مُحتَقَرًا بين يدي عدوِّهِ اللَّدودِ إبليس، الَّذي ناجزَه العداوةَ، وقطعَ وعدًا بأن ينقلَه خطوةً فخطوةً، حتّى يوصِلَ مَن يستجيبُ له مِن بني آدمَ إلى دَرَكةِ الكافرين المُجرِمين، الَّذين يستحقّون العذابَ الأبديّ الخالدَ في الجحيم.

(1) الرّاغب، المفردات: (حنك).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 151.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/ 219.
(4) جعفر شرف الدّين، الموسوعة القرآنيّة خصائص السّور: 5/ 108.

بلاغةُ الإيجازِ في قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾:

تنويعُ الدَّلالةِ، وتوسيعُ المعنى وتكثيرُه

جاءَت هذه الكلمةُ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ في جواب القسمِ بإيجازها، مُحتمِلةً لأكثر مِن معنى حول الإغواء والإضلالِ مِن جانب إبليسَ - لعنَه الله - فقد يكونُ المعنى: (لأُلْجِمنَّهم بإغوائي وحبائلي، كما يُلجَمُ حَنَكُ الدّابَّةِ بالرَّسَن).

أو معناه: (لأَستأصِلنَّ ذرّيّتَه، ولأَستَقصينَّ إهلاكَهم بالإضلال)، من قولهم: احتنكَ الجرادُ الأرضَ؛ إذا أهلكَ نباتَها، وجَرَدَ ما عليها، واحتنكَ فلانٌ مالَ فلانٍ، إذا أخذَه وأكلَه[1].

وقال بعضُهم: هو مِن حَنَّكتَ الصَّبيَّ وأحنكتَه؛ إذا جعلتَ في حَنَكِه حلاوةً، ويكونُ المعنى: لأُلقيَنَّ في أحناكِهم حلاوةَ المعاصي، حتّى يستلذّوها، ويرغبوا فيها، ويطلبوها[2].

وقد جاءَت لفظة ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾؛ لتُعبِّرَ عن كثيرٍ مِنَ المعاني، وهذه ميزةٌ مِن ميزاتِ الاستعارةِ - كما ذكر علماءُ البلاغةِ - إذ تُعطيك الكثيرَ مِنَ المعاني باليسير مِنَ اللَّفظ، حتَّى تُخرِجَ مِنَ الصَّدَفَةِ الواحدةِ عِدَّةً مِنَ الدُّرر، وتجني مِنَ الغُصن الواحدِ أنواعًا مِنَ الثَّمَر[3].

لطافةُ تَعَدُّدِ المؤكِّداتِ في لفظ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾:

الدَّلالةُ على شِدَّةِ العزمِ على الإغواء والإضلال وقوَّةِ التَّمكُّنِ منه

جاءَ فعلُ الاحتناك مُؤكَّدًا باللّام الموطِّئة للقَسَم، وبالقَسَم، ونونِ التَّوكيد الثَّقيلة الدّالَّة على أعلى درجات العزمِ على الإغواء والإضلال، وقد جَزَمَ إبليسُ بالاحتناك لعلمِه من قول المَلائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: 30]، ولم يُنكِرِ الله عليهم أنَّهم يُفسدون، ويَسفكون، أو لِعِلمِ الملائكةِ وإخبارِهم له بذلك، أو لكونِه لمّا رآهُ قبلَ

(1) الرّاغب، المفردات: (حنك)، والبغويّ، معالم التّنزيل: 3/ 142.
(2) الكرمانيّ، غرائب التّفسير: 1/ 633.
(3) الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص: 43.

نفخِ الرّوحِ فيه أجوفَ؛ قالَ: إنَّه لا يتمالكُ، فيكون يعصي، كالجنّ على أنَّهم قبلَ إبليسَ، وعلمَ أنَّه يأكلُ، وبعد نفخِ الرّوحِ عَلِمَ ذلك أيضًا[1]، فقال: بَنو هذا في الضَّعف مثلُه[2].

دلالةُ اقتصار إغواء إبليسَ على ذرّيّة آدمَ:

مَقالتُهُ واقعةٌ بعد أن أغوى آدمَ، وأُخرِجَ مِنَ الجنَّةِ، وشفى غليلَه منه

إنَّما اقتصرَ على إغواء ذرّيَّةِ آدمَ في قول اللّه حكايةً عنه: ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، ولم يذكرْ إغواءَ آدمَ، وهو أولى بالذِّكر؛ إذ آدمُ هو أصلُ عَداوةِ الشَّيطانِ النّاشئةِ عنِ الحَسدِ مِن تفضيلِه عليه؛ لأنَّ هذا الكلامَ قالَهُ بعد أنْ أغوى آدمَ، وأُخرِجَ مِنَ الجنَّة، فقد شفى غليلَهُ منه، وبقيَتِ العداوةُ مُسترسِلَةً في ذرّيَّة آدمَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ [فاطر: 6][3].

سرُّ التَّعبيرِ بالذُّرّيَّةِ دونَ الأبناء:

الـذُّرّيَّـةُ مَنظورٌ فيها إلى الخَلقِ والكثرةِ من أصلٍ واحدٍ

آثرَ السّياقُ الكريمُ التَّعبيرَ بالذُّرّيَّةِ دونَ الأبناءِ في قول اللّه حكايةً عن إبليسَ: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾؛ لوجود فرقٍ بينَهما، فالذُّرّيَّةُ تُطلَقُ على نسلِ الرَّجلِ وما توالدَ منه ومن أبنائِه وبناتِه، فهي تعمُّ الأبناءَ ذكورًا وإناثًا؛ بخلاف الابنِ فهو يُطلَقُ على كلِّ ما وُلِدَ ذكرًا، ويُطلَقُ على كلِّ ما ترتَّبَ على غيرِه بالسَّببيَّةِ أو التَّبعيَّةِ أو المُلازمَةِ أو المُشابهةِ، وبناءً على ذلك؛ فالذُّرّيَّةُ أعمُّ مِنَ الأبناء والأولاد؛ لأنَّ الذُّرّيَّةَ مَنظورٌ فيها إلى الخَلقِ والكثرةِ من أصلٍ واحدٍ، ويشمَلُ جميعَ النَّسل، بخلاف الأبناءِ والأولادِ؛ لذلك كانَ التَّعبيرُ بالذُّرّيَّة الَّذي يفيدُ العمومَ هو المناسبَ لعداوةِ إبليسَ مِن آدمَ وذرّيَّتِه؛ فيريد أن يدخلَ الجميعُ تحت غَوايتِه وإضلالِه.

دلالةُ تغاير الجوابِ مع الشَّرط في الآية:

شـدّةُ تـمـرُّدِ إبليسَ، وعشقه لـلـمـعـصـيـة، أورداه المَهالكَ

مَن يقرأْ قولَه تعالى: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ

(1) أطفيش، تيسير التّفسير: 8/ 209.
(2) الهواريّ، تفسير كتاب الله العزيز: 2/ 425.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 151.

ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يرَ تغايرَ الجوابِ مع الشَّرط؛ لأنَّ إبليسَ لمّا طلبَ التَّأخيرَ والبقاءَ إلى يوم القيامة؛ كان طالبَ نعمةٍ ومنَّةٍ مِنَ الله، والمُقتَضى العقليُّ والشَّرعيُّ أن يُقابلَ ذلك بالشُّكر، لكن أن يُقابلَ ذلك بالمَعصية بقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فهذا دليلٌ على شدَّة تمرُّدِ إبليسَ وعشقِهِ للمعصية؛ فكأنَّه يقولُ لربِّه على سبيل التَّأكيد: إنَّك وإنْ أخَّرتَني إلى يوم القيامة لأحتَنِكَنَّ ذرّيَّةَ آدمَ، أو يكون قولُه هذا على سبيل تمنّي الأمرين منه جميعًا: التَّأخير واحتناك ذرّيَّته[1].

سرُّ ظنِّ إبليسَ بذرّيَّة آدمَ:

فهمُه أنَّ ذرّيَّةَ آدمَ يكونون مثلَه في ضعف العزمِ؛ بترك ما أُمِروا به

ظنَّ إبليسُ ظنًّا غير يقينٍ أنَّه سيُضِلُّ بني آدمَ، وأنَّهم سيطيعونه في معصيةِ اللهِ، وصَدَرَ ذلك الظَّنُّ من إبليسَ في قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ عن وجدانٍ أُلقيَ في نفسِه صادَفَ مُرادَ اللهِ منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [سبأ: 20]، فصدَّق ظنَّه عليهم، فإنَّ اللهَ لمّا خلقَهُ؛ قَدَّرَ له أن يكونَ عُنصرَ إغواءٍ إلى يوم القيامة، وأنَّه يُغوي كثيرًا مِنَ البشر، ويَسلَمُ منه قليلٌ منهم[2].

أو أنَّه سمعَ الملائكةَ يقولون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30]، فعرَفَ هذه الأحوالَ، أو أنَّه لما وسوسَ لآدمَ، ولم يجِدْ له قوَّةً في العزم يحفظُ بها ما أُمِرَ به، فَفَهِمَ أنَّ أولادَه يكونون كذلك في ضَعف العزم، أو لِعلمِه بخصائصَ تركيبةِ آدمَ وذرّيَّته مِنَ القوَّةِ الشَّهوانيَّةِ والغضبيَّةِ والوهميَّةِ، ووجودُ هذه القوى جَعَلَ لإبليسَ سبيلًا إلى الوصول إلى آدمَ وذرّيَّتِه بطبيعة الخصائصِ الموجودة فيها[3].

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 7/ 67.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 151، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 440.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 11/ 7.

دلالةُ التَّعبير بالقليل دون المُخلَصين:

التَّعبيرُ عنِ الكراهيَّة الَّتي يكنُّها إبليسُ لآدمَ وذرّيَّتِه

آثرَ السّياقُ الكريمُ التَّعبيرَ بالقليل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ لأنَّ المُرادَ بالقليل مَن لا يتأثَّرُ بوساوسِه وتسويلاتِه مُطلَقًا، وهُمُ المُحسنونَ، والأبرار، وكاملو التَّقوى، وهم المُخلَصون مِنَ الله والمُخلِصون في أعمالِهم لربِّهم، فهو ليس له تسلُّطٌ على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربِّهم وحدَه يعتمدون، كما جاء في النُّصوص الأخرى[1]، وهذا القليلُ هُمُ الَّذين عناهُمُ الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: 42][2]، وبقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النّحل: 99]، ولم يعبّر هنا بالمُخلَصين، بل بالقلة لأنّ القلة مقصودة في حدّ ذاتها هنا؛ فقد يكون المُخلَصون كثرةً، وهو لا يريدُ ذلك، فكان التَّعبيرُ بالقليل مُنبئًا عن مدى الكراهيةِ الَّتي يحملُها إبليس لآدمَ وذرّيَّتِه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّأخير والتَّأجيل:

التَّأخيرُ أعمُّ مِنَ التَّأجيل، إذ يكون التَّأخيرُ بأجلٍ وبغير أجلٍ

التَّأخير في اللُّغة ضدُّ التَّقديم، ومُؤخَّرُ كُلِّ شيءٍ: خلافُ مُقدَّمه[3]، والتَّأجيلُ في اللُّغة: أن تضربَ للشَّيء أجلًا، ومدَّةُ الشَّيءِ المَضروبَةُ له تُسمَّى أجلًا[4]، يُقالُ: أجَّلتُه تأجيلًا؛ أي: جعلتُ له أجلًا، ففي التَّأجيل توقيتٌ[5]، والتَّأجيلُ بالموعود إلى يوم الفصلِ تحديدُ الأمرِ للجزاء على جميع العِبادِ فيه[6]، وعلى هذا فالتَّأخيرُ أعمُّ مِنَ التَّأجيل؛ إذ يكونُ التَّأخيرُ بأجَلٍ وبغير أجلٍ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 103.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 70.
(3) ابن سِيده، المُحكم: (أخر).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (أجل).
(5) الماتريديّ، تأويلات أهل السُّنَّة: 10/ 379.
(6) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 3/ 117.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»